﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: 63]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد ذكر مسارعتهم في الآثام بيّن أنّ علماءهم يشاركونهم فيها

لَمّا ذكر مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم الحرام، ذكر عقيبَه أنّ علماءهم يشاركونهم في ذلك الجرم والمسعى الآثم. ومن المناسبة أنّه تعالى لمّا ذكر عوامّ اليهود أعقبه بذكر علمائهم، إظهارًا لشدّة توغّلهم في اجتراح المعاصي، ونفيًا لتوقّع الصّلاح منهم فإذا فسد عالِمُهم فمن ذا الذي يصلحهم؟!

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: الرّبّانيّ منسوب إلى الربّ، وهو الذي تولّى الله تربيته بالعلم، وهو يتولّى تربية النّاس بصغار العلم قبل كباره، والنّون فيه للمبالغة، كشعراني ومنظراني ومخبراني، وهو العالم المدبّر المصلح[1].

2) ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: (حَبَرَ) أَصْلٌ، وَهُوَ الْأَثَرُ فِي حُسْنٍ وَبَهَاءٍ، حبّرتُه: حسّنته، والأَحْبارُ واحدهم حَبْر، وهو العالم بِتَحْبيرِ الكلام والعلم وتحسينه. وهو لا يعنى بإصلاح النّاس ولا يكلّف ذلك، بخلاف الرّبّانيّ. وأصله من حَبّرتُ، أي حسنتُ، فهم عبارة عن المحسنين[2].

3) ﴿يَصْنَعُونَ﴾: (صَنَعَ) أَصْلٌ، وَهُوَ عَمَلُ الشَّيْءِ صُنْعًا. رجلٌ صَنيع اليدين أي صانِعٌ حاذقٌ. فالصُّنْعُ: إجادةُ الفعل، وكلّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وليس كلّ فعل صُنْعًا، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ

(1) الرّاغب، تفسير الراغب: 5/391، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214.
(2) الرّاغب، تفسير الراغب: 5/391، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214.

شَيۡءٍ﴾ [النمل: 88]، وللإجادة يقال للحاذق المُجِيدِ: صَنَعٌ، وللحاذقة المُجِيدَةِ: صَنَاعٌ[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يخبر الله تعالى أنّ علماءهم تخلّوا عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فهلّا زجروهم عمّا يسارعون إليه من قول الكذب وشهادة الزور وأكل أموال النّاس بالباطل، ساء ما صنعوا إذ لا ينهونهم عن المنكر[2].

توبيخ علماء اليهود بتركهم النّهي ومشاركتهم بالإثم

❁ الإِيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

فائدة دلالة (لولا) التّحضيض:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ دخلت (لولا) على الفعل المضارع فدلّت على التّحضيض، فهو حثّ لعلمائهم على النّهي عن تلك المعاصي، بمعنى هلّا ينهاهم[3]. والتّحضيضُ في هذا الموضع تضمّن توبيخ العلماء والعُبّاد على سكوتهم عن النّهي عن تلك المعاصي[4].

دلّت على التّحضيض والتّوبيخ، بمعنى: هلّا، توبيخًا لسكوت علمائهم عن نهيهم عن المنكر

العلّة بتخصيص الأحبار والرّهبان بالذّكر:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ خصّ علماءهم بالذّكر لأنّهم تركوا واجبهم؛ إعلامًا من الله تعالى بأنّهم مشتركون مع عامّتهم في تلك المعاصي، مع تضمّنه التّوبيخ لهم[5].

خصّ علماءهم بالذّكر لكون النّهي عن المنكر في حقّهم ألزم، وإعلامًا بأنّهم مشتركون بالإثم

إطلاق الاثم وتخصيصه بالقول:

قوله جلّ شأنه: ﴿عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ﴾ خصّ الإثم هنا بالقول، وكان قد أطلق الإثم في الآية السّابقة: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾؛ فخصّ النّهي عن قول الإثم بالذّكر؛ ليؤذن بأنّ قول الكذب وغيره أفحش الإثم[6].

أطلق الإثم في الآية السّابقة، وخصّه بالقول هنا؛ إيذانًا بأنّه أفحش الإثم

(1) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (صنع).
(2) نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/118.
(3) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/189، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134.
(4) الواحديّ، البسيط: 7/451، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/393، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/312.
(5) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/189، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214.
(6) الطّيبي، فتوح الغيب: 5/412.

قـولـهـم الإثـم يـدلّ عـلى كـلّ أقوالهم المنكرة، فيعمّ ما قالوه في حـقّ الـلـه تـعـالى، والنّبيّ ﷺ والمؤمنين

خصوص مقولهم وعمومه:

قوله جلّ شأنه: ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ ذكر في الآية الإثم الذي يراد به أقوالهم المنكرة في النّبيّ ﷺ والمؤمنين[1]، فلم يخصّص قولًا واحدًا من أقوالهم، ليشمل جميع ما قالوه من أقوالهم في حقّ الله تعالى، وما اتّخذوه هزوًا ولعبًا من شرائع الإسلام.

عدل عن الوصف بـ (الآثـم) إلى الاسـم (الإثـم) مبالغةً في إثم أقوالهم

العدول عن الوصف إلى الاسم:

قوله جلّ شأنه: ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ عبّر عن أقوالهم الآثمة بالاسم، ولم يعبّر عنه بالوصف، فلم يقل: (عن قولهم الآثم)؛ لأنّه أراد المبالغة في إثم تلك الأقوال، فكأنّ ما قالوه هو الإثم نفسه، أي أنّ الإثمَ هو مقولهم.

اقـتـصـر عـلى قول الإثم وأكل السّحت إيذانًا بـأنّـهـمـا أصـل الـعـدوان، ولم يـذكـر الـعـدوان لأنّ المسلمين هم من يزجرهم عنه

السّرّ في عدم ذكر النّهي عن العدوان، والاقتصار على قول الإثم وأكل السّحت:

قوله جلّ شأنه: ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ اقتصر في توبيخ علماءهم على ترك نهيهم عن قول الإثم وأكل السّحت؛ ليؤذن بأنّهما الأصل في العدوان[2]، وترك ذكر العدوان؛ إيماءً إلى أنّ المسلمين يزجرونهم عنه، ولا ينتظرون أن يردّ العدوان عنهم غيرهم؛ لأنّ الاعتماد في النّصرة على الآخرين ضَعفٌ[3].

اسـتـأنـف للتّصريح بذمّ تـرك الرّبّانيين والأحـبـار عن تغيير المنكر

الغرض من الاستئناف:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ جملة مستأنفة لذمّ صنيع الرّبّانيّين والأحبار؛ لأنّهم سكتوا عن تغيير المنكر[4]،، فالاستئناف للتّصريح بذمّ أفعالهم وللدّلالة على أنّ تارك النّهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فهو توبيخ بعد التّوبيخ في صدر الآية.

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/189، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214.
(2) الطّيبي، فتوح الغيب: 5/412.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/248.
(4) الواحديّ، البسيط: 7/452 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/237، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/248.

مرجع الضّمير:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ سياق الآية يتحدث عن الرّبّانيّين والأحبار الذين تركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فالضّمائر تعود إليهم، لأنّهم هم المتحدَّث عنهم والموبّخون بعدم النّهي[1].

سياق الحديث عن الرّبّانيين من أهل الكتاب، فالضّمير عائد لهم

إيثار التّعبير بالصّنع دون العمل:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ جاء التّعبير عن إثم علمائهم بـ (يصنعون) ليجعلهم آثَمَ مِن مرتكبي المنكر؛ لأنّه قال في عوامّهم: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، وقال في العلماء: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾، والصّنع أقوى من العمل؛ لأنّ العمل إنّما يسمّى صناعة إذا صار مستقرًّا راسخًا. فجعل جرم العاملين ذنبًا غير راسخ، وذنب العلماء ذنبًا راسخًا؛ لأنّ العامل لا يسمّى صانعًا حتى يتمكّن في عمله ويتدرّب وينسب إليه[2].

التّعبير بالصّنع مع علمائهم للدّلالة على أنّ العلماء أكثر إثمًا من عوامّ النّاس

❁ المتشابه اللّفظيّ

الاختلاف في (يعملون) (يصنعون) (يفعلون):

وردت في سورة المائدة ثلاث آيات متشابهة في الخاتمة، إلّا في الفعل في رأس الآية، ففي الأولى قال جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢﴾ [المائدة: 62]، وفي الثّانية قال تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: 63]، وفي الثّالثة قال تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: 79]، فلمَ خصّت كل آية بما فيها من خبر كان؟

لذكر بعض أعمالهم اختار (يعملون)، ولذكر من كثر منه الفعل والعلم به اختار (يصنعون)، ولذكر الفعل ناسبه (يفعلون)

والإجابة أنّنا نجد أنّ الآية الأولى بدأت بقوله جلّ شأنه: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾؛ فلما كانت المسارعة في ذلك بالقول والفعل؛ ناسبه قوله: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/312.

(2) الزمخشري، الكشاف: 1/654، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/393، والطّيبي، فتوح الغيب: 5/414.

أما الآية الثانية فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾؛ فلمّا كان السّكوت على ما يخالف الفطرة لا يكون إلا ممّن كثر ذلك عنده، حتّى صار صنعة له؛ ناسبه قوله عزّوجلّ: ﴿يَصْنَعُونَ﴾.

وأما الآية الثالثة فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؛ فلمّا كان السّياق خاصًّا بما فعلوه؛ ناسبه قوله: ﴿يَفْعَلُونَ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(صنع) و(عمل):

الصّنع أخصّ من العمل؛ لأنّه يقتضي العلم بما يفعل، والجودة في الفعل

الصّنع ترتيب العمل وإحكامه، وتقدّم العلم به وبما يوصل إلى المراد منه ولذلك قيل للنّجّار صانع، ولا يقال للتّاجر صانع؛ لأنّ النّجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب، ويعلم الأسباب التي توصل إلى ذلك، والتّاجر لا يعلم إذا اتّجر أنّه يصل الى ما يريده من الرّبح، فالعمل لا يقتضي العلم بما يعمل له. والصّنع يدلّ على الجودة[1]، فهو أخصّ من العمل، فلا يقال إلّا لما كان من الإنسان بقصد واختيار، وبعد فكر وتحرٍّ وإجادة، فحيثما ذُكر كافَّتُهم قال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وحيثما ذكر خاصّتُهم وحفظة العلم ذكر: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[2]. وفي الآية أسند الصّنع للعلماء؛ لأنهم يعلمون ما يفعلون، ويعلمون أنّهم يخالفون تعاليم دينهم، وفي التّعبير به مبالغة لسوء أفعالهم، ودلالة أنّ جرمهم أكبر لأنّهم خالفوا علمهم.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 135 - 136.

(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 5/392، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»